السنة: 2020 المجلد: 05 العدد: 02 ص ص: 399 - 419
EISSN 2676-1645 ISSN 2543-375X

نحو استراتيجية فعالة لإرساء مبادئ التميز التربوي

TowArds An Effective strategy to establish the principles of educational excellence

أسماء بن سبتي[1]، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي
bensebti2081@gmail.com
صليحة رحالي، جامعة باتنة 1، الجزائر
saliharahali@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2020/01/28 تاريخ القبول: 2020/06/01

ملخص:

هدفت الدراسة من خلال المنهج الوصفي الكشفي، والأسلوب الاستنباطي إلى إرساء دعائم ومبادئ التميز التربوي سواء من خلال الفلسفة والأهداف، والمناهج وإعداد المعلم المتميز، وكذا الوقوف على أهم آليات واستراتيجيات التميز التربوي وأساليبه للتعرف على أسباب الخلل الأسلوبي والمنهجي في التربية والتعليم، بغية إعداد جيل متكامل البناء، معرجة في كل ذلك على جوانب أصالة وتميز التربية الإسلامية، وكيفية الاستفادة منها في العملية التعليمية التربوية الراهنة، وبذلك كشفت الدراسة عن نتائج هامة منها ضرورة موازاة المناهج والأهداف والفلسفة التربوية لبلادنا لهوية ورؤية ومبادئ الأمة لأجل تحقيق التوازن والاستقرار، بما ينجب الإنسان الصالح، المتوازن، والمتكامل، ويعده للحياة .

الكلمات المفتاحية: استراتيجية، إرساء، مبادئ، التميز، التربوي .

[1] - المؤلف المراسل

Abstract:

The study aimed through the descriptive and revealed approach and deductive style to lay down the foundations and the principles of educational excellence both through the philosophy, objectives, curricula and the preparation of a distinguished teacher, as well as to identify the most important mechanisms and strategies for educational excellence and its methods to identify the causes of stylistic and methodological imbalances in education in order to prepare a full constructed generation, taking into account the authenticity and the distinction of Islamic education and how to benefit from it in the current educational process. Thus the study revealed important results, including the necessity of balancing the educational curricula, goals and philosophy of our country to the identity, vision and principles of the nation in order to achieve balance and stability. while producing a good, balanced and complete human being and preparing them for life.

Keywords: Strategy, Lay down, principles, educational, excellence.

مقدمة:

يشير مصطلح التربية عند أغلب الدارسين إلى ما ينبغي أن تتضمنه العملية التربوية من أنشطة كالإصلاح والتأديب، والتهذيب والتطهير، التزكية والنماء والتنشئة، ولذا فالمفهوم التربوي يدور حول معاني الإصلاح، وسياسة أمر المتربي، وتعهد نشأته ورعايته وتعليمه، بما ينميه ويبلغه الكمال... فهي تتضمن طلب الزيادة والنماء، وفق تدرج وجهود تراكمية .

ولأهمية التربية وخطورتها نظر إليها البعض على أنها نوع من (الحرب) الدائمة على كل أشكال الانحراف والتبلد والقصور الذاتي، إذ تحتاج إلى فضيلة الصبر على بذل الجهد المستمر، مع التطلع إلى الفرص المواتية (بكار، 2011، 11) .

ولا شك أن علماء الإسلام ومفكريه لم يفتهم ذلك، الأمر الذي ظهر في ثنايا مؤلفاتهم وتعرضها للتربية، كـ(ابن سحنون)(ت256ه) في رسالته(آداب المعلمين)، و(ابن مسكويه)(ت421ه) بكتابه (تهذيب الأخلاق) الذي مزج فيه

بين الدين والفضيلة والعلم (ابن مسكويه، 1899، 17) و(ابن سينا)(ت427ه) في (السياسة) و(ابن عبد البر)(ت463ه)، ناهيك عن (أبي حامد الغزالي)(ت505ه) في إحيائه و(برهان الدين الزرنوجي)(ت591ه) ومما ذاع كتابه: (تعليم المتعلم طريق التعلم)، وكذا ابن جماعة (ت733ه) بكتابه (تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم) و(ابن خلدون)(ت808ه) ... وقد اتفقت آراءهم على أن (تعليم الصغر أشد رسوخا، وهو أصل لما بعده)(ابن خلدون، 2001، 397)، وإذا كان الأبناء هم أثمن ما يناله المرء في حياته الدنيا، فإن التربية هي أهم وأخطر عوامل وقضايا الإنسان والأمة على الدوام.

وفي زماننا لم يعد أثر التعليم ولا أهمية التربية خافيا، ولا نبالغ إن قلنا أن مقياس نهضة الأمم ورقي المجتمعات يومئذ يتوقف على تميز نظامها التربوي التعليمي، ومدى فاعلية مخرجاته وآثاره في الواقع.

وتستمد **الدراسة أهميتها** من أهمية التربية والتعليم بالدرجة الأولى للإنسان فردا ومجتمعا، إضافة لمكانة النظم التربوية والتعليمية وأهميتها في بلورة القيم والأفكار والاتجاهات، بل وصياغة نواميس حياة الأمم والحضارات، وبالتالي فإن الدراسة تكتسي أهمية في:

- المساهمة في إرساء دعائم التميز التربوي على أسس أصيلة ومعاصرة، والتوعية نحو ضرورة ذلك.

- إثارة اهتمام المهتمين بالمجال التربوي إلى بلورة استراتيجية ونظرية تربوية ذات فلسفة وأهداف ومناهج تربوية أصيلة .

- الاستفادة من قبل المربين والمعلمين من المبادئ والأساليب التربوية التي طرحتها الدراسة في ميدان التربية.

ومن جملة ما ترمي إليه **الدراسة من أهداف** ما يلي:

- بيان أهمية الفلسفة التربوية، وتسليط الضوء على بعض معالم الفلسفة التربوية الإسلامية .

- التوعية بدور الأهداف وأهمية وضوحها في العملية التربوية، وتوجيه النظر نحو الأهداف السامية للتربية الإسلامية .

- التركيز على أهمية المناهج التربوية ومعاييرها الناجحة في بناء الأجيال وتحقيق التميز التربوي .

- تسليط الضوء على أهمية تميز المعلم ودوره .

- الوقوف على أهم الآليات والقواعد التربوية المجدية والناجعة في مجال التعليم .

ولأن البحث يندرج ضمن البحوث التربوية النظرية فهو يتخذ:

- **المنهج الوصفي**: وذلك للتعريف بالمصطلحات التربوية الواردة في الدراسة من تربية، وفلسفة، وأهداف ومناهج، .. وكذا وصف أوضاعها في العمليات التربوية الراهنة وما يعتريها من مشكلات، وكيفية تنزيل ما تطمح إليه الدراسة على أرض الواقع.

- **المنهج الاستنباطي التحليلي**: وفي ضوئه يمكن تقصي أهم الأفكار والمفاهيم التربوية من الكتب والأصول التربوية، ودراستها وتحليلها، وتدعيم ذلك بالأدلة الواقعية أو الشرعية، مما يفيد في استخلاص المبادئ والمفاهيم والأساليب التربوية المتميزة.

ومن هنا تصاغ **الإشكالية** محور الدراسة كالآتي: "ما هي الاستراتيجية الأنجع والتي يضمن وضعها تحقيق التميز في مجال التربية والتعليم؟" .

أولا: الأصول التربوية

1- فلسفة التربية

الفلسفة التربوية هي المبادئ الأولى التي تقوم عليها العملية التربوية وتفسر مجرياتها، وبذلك فهي (علم يوفر إطارا عقديا وفكريا للتربية، ويحدد غاياتها، ويضع معايير نجاحها، ويضفي نوعا من التوحد على أنشطتها، ويولد مفاهيمها، ويحلل عملياتها، ويعالج مشكلاتها) (بكار، 2011، 29) فهي بمثابة البوصلة والإطار التوجيهي للمربي .

ومن الفلسفة تنبثق أهداف ومناهج ومؤسسات وطرق ووسائل التربية في التعليم وفي التقويم، كما تنبثق الجذور والسيقان والأغصان والأوراق والأزهار والثمار من البذرة التي تودع في باطن الأرض، ذلك أن التربية كانت ولا تزال نظاما اجتماعيا ينبع من عقيدة الأمة، وفلسفتها.

وتقوم فلسفة التعليم في الولايات المتحدة –مثلا- على الإبداع وتنميته، وفي سبيل ذلك يتم التنازل عن أمور كثيرة كالضبط السلوكي لأنهم يرونه يتعارض مع الإبداع، وفعلا كانت المخرجات قمة في الإبداع.. وكذا يركز البريطانيون على الضبط والربط، واليابانيون على القضية الاجتماعية وروح الجماعة، فكانت النجاح باهرا على حساب الفردية... وهكذا فلكل أمة فلسفتها التي تعتمدها...

أما مشكلة البلدان التي وضعت نظامها التعليمي حديثا -كما قال (إدجار فو) الدبلوماسي والمؤرخ القانوني الفرنسي- أنها (صاغته على منوال الأنظمة الأجنبية، وهذا هو الشأن في الأقطار النامية، فبلدان العالم الثالث، ما كادت تتخلص من عهد الاستعمار حتى أخذت تخوض معركة حاسمة ضد الجهل، لأنها اعتبرت –وهي على صواب- أن القضاء على الجهل هو الشرط الأساسي للتحرر الدائم، والطريق الوحيد للرقي والازدهار، وقد اعتقدت أنه يكفي لتحقيق هذا الأمر كله، أن تنتزع من يد المستعمرين سلاح التفوق التقني، وها هي ذي اليوم تلاحظ أن تلك الأنظمة المستعارة (وهي أنظمة بائدة في بلدها الأصلي!) لا تتماشى مع حاجياتها ومشاكلها، بحيث لا تقتصر مساوئها على ضعف المردود فحسب، بل تتجلى عواقبها الوخيمة على الصعيد النفسي والاجتماعي، مما يفرض على الأقطار النامية مراجعة الحالة ولو كلفها ذلك ما كلفها)(فور وآخرون، 1974، 20) فأغلب النظم تعاني تقليدا فيه غياب عن واقع الحياة الاجتماعية، وعدم انسجامها مع روح هذه البلدان .

ويشير البحث في منطلقات التربية الحديثة واتجاهاتها، المستقبلية أن الأصول الإسلامية تملك أن تمد هذه التربية بالشيء الكثير، وهذا أمر لاحظه نفر من مربي العالم ومفكريه، وأشار إليه تقرير اليونسكو الذي صدر عام

1972م(الكيلاني، 1985، 268). والذي يقال؛ أن فلسفة التربية لكل أمة يجب أن تنبع من عقيدتها وتراثها وفكرها، كما يجب أن توافق فلسفتها ونظرتها للحياة ودور الإنسان فيها وإلا فإنها لن تستقر أو تؤتي أكلها .

2- الأهداف التربوية

فالتربية عملية هادفة مقصودة لابد من تحديد أهدافها وإلا سارت بغير وعي ولا رشاد، والأهداف (هي انعكاسات للفلسفة التربوية في ميادين الحياة العامة التي يراد من التربية الإسهام في بنائها، وقد تفرع الخلاف حول ماهية الأهداف التربوية بين مجرد التحصيل الذهني، والتأثير في تصور المتعلم عن نفسه وتقديره لذاته والثقة بها واكتشاف قدراته العقلية، أو تطوير اتجاهات سياسية سليمة، ومواطنة صالحة، وتدريب الناشئة على حسن استغلال أوقات الفراغ والترويح عن النفس... أو هي تطوير قيم واتجاهات حسنة مثل استقلال الشخصية، والدقة في العمل، وضبط النفس، والتقيد بالقوانين العامة والتكيف مع متطلبات التغير التكنولوجي.. وكل ما يؤدي إلى النجاح...)(الكيلاني، 1988، 25) .

غير أن التربية المتميزة لا تستهدف جانبا واحدا عند المتعلم، كالعلم والمعرفة أو الجسم وحده، بل هي تتكامل لأجل بناء جميع جوانب الإنسان وتوازن بين: بناءه العلمي، والعقدي، والتعبدي، مما يقربه من الله، كما تولي التربية السليمة عناية فائقة بالبناء الخلقي، وكذا البناء الجسمي للإنسان، ليقوم بدوره الذي خلق من أجله (الحازمي، 2000، 105-111، 19- 195). فالأهداف العامة للتربية لابد أن تكون مبنية على الغايات العظمى للوجود الإنساني في تحقيق العبودية لله وما يترتب عنها من التزامات إيمانية وأخلاقية وتربوية وثقافية، قال تعالى{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (سورة الذاريات الآية 56)، وكذا تحقيق الخلافة وعمارة الأرض ومواكبة التمدن والحضارة والتطور، ومن تلك الغايات والأهداف العامة تنبثق الجزئيات (حمد، 2015، 213)... وهنا نتساءل إلى أي مدى تقف التربية المعاصرة في أهدافها - مثلا- عند (جريان الفلك) و(أكل اللحم الطري) و(استخراج الحلية) ولا تتعداها

إلى أمثال(شكر الله) و(الإيقان بالله) و(الحمد لله) وتلك في حقيقتها وسائل بلا غايات، وعلى إثر ذلك تتعدد المقاصد وتتصادم، وتختلف الآراء والفلسفات وتتناقض. (الكيلاني، 1988م، 17).

3- المناهج التربوية

فالمنهاج هو الركيزة التي تبنى عليها أهداف العملية التربوية، ويعد (مضمون المناهج أحد أكثر وسائل التربية في تبديل نظام القيم والاتجاهات.. فالعملية التكوينية للمهارات والاتجاهات للمتعلمين، والتي تبدأ من التحاق الطفل بالمدرسة وحتى تخرجه تتم من خلال محتوى المناهج والمقررات الدراسية وأساليب التعليم المتبعة في المدرسة..)(الغانم، 1995، 21) ولذا ينبغي أن تؤكد جميع المناهج على إبراز القيم الاجتماعية في شعور الفرد، إلى جانب حفز المواهب الفردية إلى النمو.. (Betts,2017, 247) .

فالمؤكد أن المنهج يتأثر بالبيئة الاجتماعية وقيمها، بل لابد (للمناهج والسياسات التربوية أن تعبر عن عقيدة الأمة، وقيمها وأهدافها الرئيسية في الحياة، وتصورها للمستقبل، وبخلاصة أن تعكس فلسفتها في الحياة، وفي ذلك كتب (إدجار فور) ومن معه: "إن السياسة التربوية لا تنحصر في رسم بعض المبادئ التوجيهية العامة، بل لابد من أن تشتمل على مجموعة من الأهداف الخاصة المترابطة فيما بينها ترابطا قويا، ومن بينها الأهداف ذات الطابع الروحي والفلسفي والثقافي، مما يقدم فكرة عن مفهوم الإنسان..") (فور وآخرون، 1974، 234) .

كما يجب توفر المنهج على العلوم الضرورية لدى الناشئة في كل عصر، من اكتساب مهارة التعلم الذاتي وتقديرهم للتعليم مدى الحياة وممارسته)(الصعيدي، 2005، 143) ومما يعاب على بعض المناهج إهمال الفنون بجانب العلوم في مجال التعليم، والمقصود بذلك المفيد منها كحسن الخط، والزخرفة، والرسم... وذلك بمقدار ما يحث على الخير وحقيقة الجمال .

فليس المقصود بالمنهاج تلك المقررات الدراسية الموجودة داخل الكتب المدرسية تنفذ في شكل برامج تعليمية تلقن داخل حجرات دراسية، وإنما هو

جميع الأنشطة والمعارف والمعلومات والسلوكيات، وكذا الخبرات التي يكتسبها المتعلمون بإشراف المؤسسة وتفيدهم في الحياة، فهو نسق مركب ومتداخل من أهداف ومضامين ومرامي وغايات ووسائل تعليمية وطرائق تربوية وتقويم وامتحانات...؛ يؤثر كل عنصر في الآخر، وبذلك تكون المناهج أشمل من البرامج، فهي واسعة سعة الحياة، تستجيب للمتغيرات وللمستجدات .

ومما يعيب النموذج التربوي دأبه على الفصل بين المواد الإنسانية –التي يعتبرها غير علمية- وعلى المواد العلمية التي يعتبرها مجردة من الصبغة الإنسانية، وهذا الافتتان بالعلوم البحتة والتطبيقية -رغم ما حققته من نجاح مادي- أدى إلى إهمال جانب الروح وعالم الغيب، وانهيار الارتباطات الأخلاقية، مما أفسد رسالة العلم النبيلة(النجار، 2006، 33، 68-69) .

وعموما فإن أغلب مناهج التعليم في البلاد الإسلامية تشكو انفصاما واضحا بين الدلائل الشرعية والدلائل الكونية، (بكار، 2011، 348) ومما يبعث على الريب أن يكون ذلك مما يخدم النزعة العلمانية المستترة . فلابد من العمل على التأصيل الإسلامي للمعارف والقيم المكتسبة، وإصباغها الصبغة الإسلامية عوض النزعة المادية الدهرية (النجار، 2006، 189).

ولأن من سمات عصرنا الثراء العلمي وما يتدفق منه من مهارات، فعلى خبرات المناهج الدراسية أن تواكب هذه الغزارة، وإن لم تفعل حدث انفصام بين الأجيال التي تدرسها ومقومات الحياة المعاصرة .. إضافة إلى التقانة التي تتطور بسرعة مذهلة، وتتسع تطبيقاتها اتساعا وعمقا في حياتنا إلى أن أصبح استيعابها من العوامل الفارقة بين الأمم! ..إضافة إلى التجديد التربوي المستمر في مجال المناهج بخاصة؛ كتفريد التعليم، والتعليم عن بعد، والتعليم المصغر، والتنظيم الحلزوني لخبرات المناهج.. إلى غير ذلك من المستحدثات التي ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار(شوق، 2001، 382) . كما أن من سمات المنهج الموفق كذلك؛ المرونة والخضوع للتطوير المستمر، عن طريق التقويم والتشخيص العلاجي للمنهج أو أحد جوانبه في ضوء الأهداف التربوية المنشودة.. (مدكور، 2001، 261-262) .

4. المعلم التربوي المتميز

وإذا كانت المؤسسة التربوية بما يسودها من لوائح ونظم وجو اجتماعي تعد أهم البيئات تلقينا للعلم وتسريبا للقيم، فإن المعلم هو حجر الزاوية في ذلك، لما له من أثر عظيم في نفوس التلاميذ وعقولهم، فالمعلمون هم نماذج يقلدها التلاميذ بالدرجة الأولى، فلا ضير أن مهمة التعليم أشرف وأجل المهمات، وكيف لا وهي امتداد لوظيفة أنبياء الله ورسله عليهم السلام، قال تعالى {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيم} (سورة البقرة الآية 129) والمعلم كذلك له أثره في بناء الإنسان ونهضة المجتمعات .

فعمل المعلم في أدبيات التعليم الإسلامي عمل خطير وشامل؛ فهو مثقف ومرب ومرشد ومبلغ ومشرف وداع إلى الخير، وعلى المعلم يتوقف مستوى مخرجات العملية التربوية برمتها...، ولذا فإن الأمر يتطلب وجود المعلم الكفء الصالح دينا، وخلقا، وعلما، وثقافة وشخصية، ومهارة وخبرة (العمرو، 1999، 27-30) . فلابد -إذن- من إنصاف المعلم والاهتمام به اهتماما يعكس الشعور بخطورة رسالته، وذلك بحسن إعداده أولا، ثم الاحتفاء به ومنحه ما يستحق من التقدير المعنوي والمادي.. من المرتبات والتسهيلات في الحياة، حتى يتفرغ لمهماته التربوية تفرغا كاملا، ويشعر بثقة المجتمع فيه، ذلك أن الثقة تورث الرغبة في الكمال، فيرقى المعلمون بأنفسهم إلى مستوى المسؤولية الملقاة على عاتقهم ارتقاء اختياريا واعيا(النجار، 2006، 172) كما ينبغي تكريم المعلمين سيما البارزين منهم، وإظهار احترامهم من قبل الهيئات والمسؤولين بمرأى من أعين الطلاب(الكمالي، 2002، 143-144).

إلا أن المعلمون، أو المؤسسات التربوية بعامة مهما جودوا آداءهم لا يمكنهم الانفراد ببناء الأجيال، فوسائل الإعلام وأخلاق الأقرباء والجوار وعاداتهم، بالإضافة إلى المفهومات الاجتماعية السائدة، والظروف الاقتصادية التي نحياها... كل ذلك يترك بصمات قوية في شخصيات أبنائنا (بكار، 2002،

25) . إذ يجب أن يتعاون الكل على إقامة المجتمع النموذج الذي نتوق ونرجو لأن يحيا وينشأ فيه أبناؤنا ، ويرونه واقعا بينهم فيقتدوا به ويقتفوا أثره .

ثانيا: مبادئ التميز التربوي

إن وضع استراتيجية فعالة يتطلب صياغة مبادئ نوعية لتحقيق التميز منها:

1. التفهيم لا التلقين:

بعد الحرب العالمية الثانية، تحول التعليم في اليابان إلى تعليم يعتمد التدريب على التفكير أكثر مما يعتمد على النقل والحفظ، مما جعل التعليم الياباني نظاما يشد خبراء العالم(حامد، دت، 5).

ونشهد اليوم (هجوما شرسا على طريقة تلقي العلم، والحفظ والتخزين للمعلومات، كما نشهد الكثير ممن يرفع من شأن التحليل والمناقشة في التعامل مع المعرفة، ولا يخلو هذا وذاك من شيء من المبالغة، إذ لا يمكن تكوين شخصية علمية جيدة، من خلال قدرات عالية على الفهم والتحليل، من غير امتلاك صاحبها لكمية جيدة من المعلومات والقواعد والمفهومات الراسخة والمتفق عليها.. فلأسلوب التكرار والحفظ أثر على تنمية الملكات وترسيخها، فله أثره في التدريب على المهارات والصناعات المختلفة التي تحتاج لها الممارسة والتطبيق.. كما لا ننكر أن هناك علوما قوامها الحفظ كعلم القراءات القرآنية، وكذا الأحاديث النبوية .. ولكن إلى جانب تحفيظ الصغار لابد من تدريسهم بعض مهارات التفكير، ومحاولة تفتيح أذهانهم على ملاحظة بعض الأشياء) (بكار، 2011، 185). فلا يمكن أن ننكر أن ذهن الطفل له قدرة عجيبة على التلقي، ينبغي شغلها بخيرة الآداب والحقائق والألفاظ .. إلا أن تلك ليست ميزة عقل الطفل الوحيدة، بل هو كائن حي فاعل ونشيط ربما أكثر مما قد نظن .

ولكن للأسف؛ فقد جعل النظام التربوي القائم على الحفظ من عقول التلاميذ بل قلوبهم آلات تحفظ المعلومات ثم ترد حين الحاجة إليها، والنتيجة انتشار العنف، وكثرة الجرائم، وتحجر العقول والقلوب، والأخطر أن تنتج هذه الأساليب أجيالا سلبية، ضعيفة، صماء.. تتعلم لأجل الامتحان، وليس

لقيمة العلم بحد ذاته، والاستفادة منه وتطبيقه في الحياة(الصعيدي، 2005، 7، 21).

ومما يجب ألا نغفله أن الطفرة المعلوماتية الهائلة في عصرنا قد حطت من شأن المعطيات العلمية الجاهزة، وقد آن الأوان لأن نفسح المجال لأسلوب جديد في التعليم، يقوم على محاولة التحليل والتعليل والتفسير لكل المسائل المقررة، كما يقوم على الربط بين الجزئيات العلمية المتشظية بغية دمجها في جسم معرفي واحد، حتى نتمكن من فهم أدق لواقعنا(بكار، 2011، 188) أما المقررات المفككة وغير المترابطة، والتي لا تهتم بإنماء الملكات الفردية والقدرات الذهنية .. ولا تعنى بالتعرف على الذات، أو إحياء الضمير الشخصي، ولا تعمل على جلاء البصيرة، وإذكاء الروح أو الالتزام بالقيم الأخلاقية، فإنها في الواقع لا تعني أكثر من قدر من المعلومات الجامدة.. والحقيقة أن سؤالا واحدا ذكيا خير من تكرار مجموعة من الإجابات لأسئلة بالية(النجار، 2006، 41-42) .

ويستحسن (التخلص من النظرة الأحادية والتي يمكن بموجبها لنظرية تربوية واحدة أن تفسر جميع أنواع التعلم، وربما تنطلق منها جميع الأنشطة التدريسية.. يتم من خلالها قسر التلاميذ على فرضيات تعلمية معدة سلفا، وكأنهم خط إنتاج)(الصعيدي، 2005، 83) وكل ذلك يضاف إلى البطء الملحوظ في قدرة التعليم المعاصر على الاستجابة للتغيرات فجمود معظم النظم التعليمية وبلاها كان مما أدى إلى التباين بينها وبين مجتمعاتها(النجار، 2006، 27).

2. الممارسة ومبدأ التطابق

إن المعلم يطلق تعميمات، ويقرر قواعد، ويشرح تصورات، يشعر المتعلم معها أنه محتاج إلى الدلائل والبراهين التي تثبت صحتها، وتجعله يتأكد أنه فهمها على الوجه الصحيح، ولا يستطيع أن يحصل ذلك إلا من خلال المعايشة الحقيقية للأنشطة، والممارسات التي تتجسد فيها تلك المفهومات والتصورات(بكار، 2002، 168). وقد أدرك عدد من كبار المربين عقم

التدريس المعتمد على الكتب وحدها ، ودعوا لأن نقدم للناشئين حقائق الأشياء بدل من أن نقدم لهم ظلالها وأشباهها.. فحين يدرس التلاميذ موضوعا يتعلق بالصناعة أو الزراعة أو الكهرباء أو التاريخ، فإن بالإمكان تنظيم زيارات لهم إلى المؤسسات والمصانع والمتاحف والمزارع من أجل رؤية بعض التطبيقات والتجسيد لما يقرؤونه في الكتب وهكذا... فلابد أن يعيش المتعلمون ما يراد منهم أن يتعلموه وفق مبدأ التطابق، لا أن يوعظوا به وعظا ، ويلقى عليهم إلقاء(بكار، 2011، 190) فالممارسة العملية خلال التعليم لَمَا يساعد على توضيح الصورة، وتخفيف حدة الضغط وملل السرد والحفظ .

ومن الإنصاف القول إن نظم التربية في أمريكا وأوربا واليابان تراعي –مبدأ التطابق- هذا وتعيه في ميادين العلم والعمل والإدارة العسكرية وحقوق المواطنة العامة، ولعل أبرز النظم التربوية المعاصرة مراعاة لهذا المبدأ هو (نظام التعليم الإسرائيلي المحتل) حين يتخذ من مؤسسات الحياة نفسها مؤسسات تربوية ينتقل الطلبة والمتعلمون خلالها ويشاركون مشاركة فعالة في مستعمرات العمل الزراعي، وفي مراكز التدريب العسكري، وفي الحملات الحربية، وفي مراكز البحث العلمي، وفي مراكز التدريب التكنولوجي، وفي رحلات الدراسة الجغرافية والجيولوجية، وفي مناقشات الكنيست، ومناقشة قضايا المصير المشترك، وفي رحلات الدراسة الحيوانية والنباتية والأثرية...إلى غير ذلك (الكيلاني، 1988، 218) .

وفي ديننا يتفق مبدأ التطابق هذا مع التوجيه الإلهي القائل{وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا}(النساء الآية66)، فتكوين القيم والأخلاق الفاضلة لا يتم بالوعظ ولا بالحفظ وحده، ولا بالإقناع العقلي بمفرده، بل يحتاج إلى ممارسة فعلية، وقد كان ذلك مبدأ أساسيا للتعليم زمن نبي الله صلى الله عليه وسلم، ذكر ابن مسعود فقال: "كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن"(رواه أحمد في مسنده، رقم 590) ولا شك أن ذلك خير بدلا من الاكتفاء بالأعمال العقلية

المعتمدة على التعريفات والمقارنات والتصورات الذهنية وحشود الجمل والآراء (النجار، 2006، ص145) (الكيلاني، 1985، 57) .

3. التقويم الصحيح:

إذ يظل التقويم الصحيح أحد الثوابت في العملية التعليمية، ومن الضروري أن يعرف المتعلم موقعه الحقيقي بين أقرانه، ولكن مع هذا فإن تشجيع المتعلم وتذكيره بنقاط القوة والإيجابية لديه، وما يمكن أن ينجزه يظل أعود عليه بالنفع من إيقاعه في القنوط، ووضع العقبات في طريقه، فالذي ثبت أن كل الأعمال الإصلاحية الناجحة كبيرها وصغيرها؛ تنطلق من خلال الارتكاز على الإيجابيات القليلة المتوفرة، حيث يتخذ المصلح منها رأس جسر لبناء إيجابيات أكثر وأعظم(بكار، 2002، 65) .

ولا يكون التقويم الصحيح ويثمر إلا عن طريق حسن الإصغاء للمتعلمين والتدرب على ذلك.. وبعدها يساهم المتعلمون أنفسهم في بلورة ما يمكن أن يلتزموا به داخل المدرسة وخارجها، لا أن يملى عليهم إملاء، لأن ذلك هو السبيل لتجدر الفضيلة في نفوسهم(بكار، 2002، 65) .

أما اعتماد الامتحان -التحريري خاصة- وحده كمنهجية ووسيلة رئيسية للتقويم، فإن ذلك لا يمكن أن يؤدي إلى تقويم سليم لقدرات المتعلمين ومواهبهم، ومما يفتح الباب واسعا أمام الغش وأفقد العملية التعليمية والتربوية الكثير من وظيفتها، حيث استبدل شحذ القدرة على التفكير بالاهتمام بالحفظ، وأصبحت عملية التقييم للقدرات في حقيقتها عملية تقييم لذاكرتهم .. وقد أدى ذلك بنظم تعليم تدور كلها حول الرتب والحصول على شهادة، وهذا في حد ذاته لا ينتج إنسانا صالحا ولا متعلما جيدا(النجار، 2006، 50- 52).

4. إعداد المتعلم للحياة لا لمجرد الامتحان:

فالتربية الحديثة لابد أن تؤكد على أهمية الطفل من خلال العناية بفكرة اتصال المدرسة بالحياة، على أن هذا المبدأ وهذا الاهتمام قد وجد قبل التربية الحديثة، ولم يكن (جون ديوي) في كتابه (المدرسة والمجتمع) بأول من قال بضرورة الاتصال الوثيق بين التربية والوسط الاجتماعي، بل قد سبقه إلى ذلك

كثيرون في كل هيئة تعليمية، فالنظرة الحديثة للتربية تحمل على ربط المدرسة بالحياة، إذ إن التربية تشمل الحياة في جميع أدوارها ومختلف أعمالها، وهو ما حدا بالمربي (جون ديوي) بأن يعرف التربية بأنها الحياة(ديوي، 1978، 51) فحري بالمدرسة ألا تحصر دورها بين جدرانها الأربعة، وتجعل همها الكتب والبرامج متجاهلة الحياة حولها بل ومتطلبات المتعلم ذاته .

وقد ذكر (بيتس) (1868- 1934م) تعريفين للتعليم، الأول يرمي إلى تنبيه مواهب الفرد، والثاني إعداد الفرد للحياة الاجتماعية، والمقصود بمواهب الفرد القوى العقلية المختلفة كالذاكرة والابتكار والذكاء والملاحظة وما إلى ذلك (Betts, 44)، ويقول أستاذ التربية بجامعة السوربون (ألبير مالو): "الآراء متفقة في جميع الشعوب الحديثة على أن التعليم يجب أن يعد الفرد للحياة الاجتماعية أكثر مما هو حاصل الآن"(Millot, 1938, 17) .

فحين تقدم المعلومات، وتشرح المسائل وتقرر الموضوعات بهدف توسيع قاعدة الفهم، وتحسين مستوى المحاكمة العقلية لدى المتعلم منذ الصغر، تتحول المعلومات الجديدة إلى روافد لتشكيل نماذج وبنى إرشادية تضيء أمام المتعلم طريقه في الحياة، وتحسن إمكاناته وقدراته، كما تتحول كل مادة- إذا ما انتظمت- من معلومات متناثرة لا رابط بينها إلى منهج ذي شخصية متماسكة ومستقلة واضحة المغزى(بكار، 2002، 100-102) . وحينها يتسنى للمتعلم أن يعثر على آثارها، ويرى بنفسه وجه الانتفاع بها في حياته سيما إذا ما ساعده المعلم على ذلك المنهج التنظيمي، وحينها يقبل على العلم بولع وشغف.

5. تشجيع التفكير الإبداعي:

وقد أثبتت الدراسات أن العوامل البيئية تلعب دورا أهم بكثير من العوامل الوراثية في تكوين الطفل المبدع، ولهذا فالمدرسة بحاجة أن تستند إضافة إلى المعرفة العلمية إلى أفكار إبداعية، وفي سعيها لتنمية الإبداع لابد أن تنمي الفضول المعرفي، واستكشاف المجهول.. ومن المؤسف أن نتعامل في تربيتنا مع

أطفالنا لقتل الإبداع في داخلهم(مالكي، 2018، 358) (نصر، 2011، 94-95).

ومن الضروري أن نفهم أن الإبداع ظاهرة طبيعية، إنسانية فهو عام لدى كل الناس، وهو ظاهرة هامة، صحية وإيجابية، وهو ليس قاصرا على ذوي الموهبة، مما معناه أن الإبداع موجود بصفة كامنة عند البشر بدرجات متفاوتة، وأساليب متنوعة.. لذلك بمقدورنا التأثير في المتعلمين حتى نصل بهم لمستوى الإبداع(الصعيدي، 2005، 142) (نصر، 2011، 95) فلنغير نظرتنا للإبداع إلى أنه مسؤولية الراشد المعلم أن يكتشفه ويوجهه، وحاجة لكل فرد لأن ينميه ويتدرب عليه ويتعوده، وهو ليس فضيلة يتصف بها ثلة من الأذكياء فحسب.

وتنظيم الدفق الإبداعي وتحفيزه مما يعود بالنفع على المبدع أولا، ويجنبنا انفجار فوهات الإبداع التخريبية والهدامة إذا ما وظفت الطاقة الإبداعية في المقابل توظيفا سلبيا أو لاقت إمكاناته توجيها خاطئا(بكار، 2002، 84)، فمن الجميل أن نشيع في أجوائنا ثقافة الإبداع ونهتم بها، وحينها يشعر كلٌ بأهميته في المجتمع، وتشغل أوقات الفراغ، بالاستثمار الإيجابي للتفوق الإبداعي، وعلى مدارسنا ألا تنشغل بالتحصيل الدراسي من أجل النجاح وحده، وليكن من أهدافها التربوية إفساح المجال للاستنتاج والتحليل وهما خير دعامة للإبداع .

6. التكامل بين التعليم والقيم:

يقول (جون لوك): "إن أعظم عمل للمربي هو أن يقوم السلوك ويشكل العقل، ويغرس في تلميذه العادات الطيبة ومبادئ الفضيلة والحكمة وأن يكون في نفسه فكرة عن النوع الإنساني، ويقوده إلى حب ما هو حميد وجدير بالثناء، وأن يعوده النشاط والحيوية والاجتهاد في أداء ما يعمل"(عمر، 2000، 35)، أما حين يصبح الحصول على المؤهل هو الغاية المرجوة من الدراسة وليس التعلم في حد ذاته، ويأتي الامتحان في المقام الأول، وقد صار الغش فيه أمرا مشاعا له كل المبررات.. وكذلك فقد المعلم دوره القيادي الرائد، ولم يعد

يكترث بصفات القدوة الحسنة، وبذلك ضاعت الصفات الأساسية لكل من المعلم والمتعلم.. حينها خرج حاملو الشهادات إلى الحياة، مما أدى إلى التحلل والانهيار، واختلال موازين الحق والقيم وتفكك المجتمعات ...(النجار، 2006، 17).

وباستقرائنا لتاريخ الفكر نجد أن القيم هي هدف التربية على الدوام، إذ انصب اهتمام فلاسفة اليونان في مجال الأخلاق على جمال السلوك بالنسبة للفرد أو المجتمع، ونادى الفلاسفة منذ (أفلاطون) إلى (ديوي)(Dewey John) بوجوب الاهتمام بالتربية، (السهم، 2014، 28- 29). كما أولت الفيثاغورية اهتماما بالغا بالقيم والأخلاق بهدف تطهير النفس والعقل والنفس، عن طريق الزهد وترويض النفس وتعويدها الشجاعة والاستقامة، ومن أبرز قناعات (فيثاغورس)(470-495ق.م)، الدينية أن العلم أهم طريق لتأديب الأخلاق وتطهير النفس (السهم، 2014، 20). وفي العصور الحديثة حرص الفيلسوف (كانط)، على أن تكون العلاقات بين الناس مبنية على أساس (الواجب الأخلاقي) كقيمة نبيلة في المجتمع، ويعتبر قول الحقيقة أمرا ضروريا بل واجبا أخلاقيا.

كما أن كل تلك العلائق التي نلحظها بين التربية والتعليم مما يستدعي ضرورة إيلاء منظومة القيم مزيدا من الاهتمام في النظام التربوي تخطيطا وتنفيذا وتقويما، ذلك أن المنظور الشامل للرسالة التعليمية يبتغي تكوين شخصية المتعلم في مختلف أبعادها، مما يمكنه من استيعاب هويته وحضارته، مع التصدي للوافد الذي لا يلائم من القيم والأفكار، والواقع أن المدرسة هي الفضاء الأرحب لبناء ونشر القيم وترسيخها، ولتصحيح ولتوضيح المفاهيم والمعايير، ولذا فالمدرسة بفلسفتها وأساليبها التربوية مدعوة للانخراط أكثر في تعزيز القيم النبيلة وتقويم السلوك .

وفي الحاضر؛ لا يفتأ المتتبعون لمسيرة التربية والتعليم ينبهون إلى تدني المنسوب الأخلاقي والقيمي في المؤسسات التعليمية وما حولها، و(يرجع المهتمون بالشأن التربوي والتعليمي ذلك إلى إيلاء الأهمية في الغالب الأعم لتنمية معارف

التلاميذ والارتقاء بمهاراتهم من خلال أنشطة تعليمية منظمة وخاضعة للتقويم، مع ترك بناء القيم على الهامش، تلتقطه صدف التنبيهات والتحذيرات والمواعظ.. دون الاستناد إلى مشروع علمي منظم ومندمج في المشروع التربوي للمؤسسة التعليمية)(الصمدي، 2008، 7).

وفي الغرب، فإن دولا عديدة تفكر جديا في إعادة التربية الدينية والخلقية إلى المدارس، بعد أن كانت تظن أن المبادئ العلمانية التي تدعو إليها تغني عن التربية الدينية.. ولذا فإننا لا نبالغ إذا قلنا إن مستقبل المسلمين جميعا متوقف على مدى تشكيل القيم والأخلاق الإسلامية لسلوكنا ومواقفنا، ومدى قدرتنا على تنظيم ردود أفعالنا، وإنه لا يعادل صحة تلك القيم شيء سوى فاعليتها وحضورها في تفاصيل حياتنا(بكار، 2002، 35).

فالمعارف والمهارات المنقولة لابد أن تصاحبها وتكملها تربية حقيقية للمتعلم على القيم ... وهذا التكامل بين التربية على القيم والتعليم مصدره وحدة مصدر المعرفة، ووحدة أدواتها وفرقائها، فالأمم ذات الأديان السماوية هي التي شيدت الحضارات ورعتها(الكيلاني، 1988، 284)، ومن هنا جاءت أول آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء لتميز فلسفة التربية الإسلامية عن غيرها من الفلسفات، فمن حكمة الله سبحانه أن كانت أول كلمة نزلت من القرآن هي قوله {اقرأ} ومن عظيم حكمته أن ربط تلك الكلمة باسمه سبحانه خالق الكون، مما لا يقر بفائدة أي علم منفلت عن القيم، فالمعرفة الموصلة إلى الحقيقة ينبغي أن تتحول إلى تطبيقات تربوية مثمرة تتكامل فيها المعارف بالقيم . غير أن التعليم المعاصر يكاد يكون خاليا من الأخلاق والروح والقيم، مما يخرجه عن الفطرة الإنسانية السوية المتزنة بين المادة والروح ..(النجار، 2006، 18-24). ومن المجدي تدريب المربين على طرائق إدماج القيم الإسلامية في العملية التعليمية كلها .

خاتمة:

إن تحقيق التميز التربوي في عصر التقانة والاتصال والعولمة، بالجمع بين العلم والمبادئ والقيم، هدف تشرئب إليه الإنسانية قاطبة، وقد سعت الدراسة إلى وضع استراتيجية لذلك، من خلال الإشادة بأهمية الفلسفة والأهداف، والبيئة التربوية السانحة لاكتساب المعارف والمهارات والقيم، وممارسة ما استجد وثبت نجاحه من الأساليب والآليات والقواعد التربوية، ولذلك فقد أسفرت الدراسة عن نتائج ذات بال هي:

1- ينبغي للفلسفة التربوية للعملية التعليمية الناجحة أن تتبع من الخصوصيات العقائدية للأمة، وتصورها للإنسان وللكون والحياة لترسخ استقرارها وتخرج ثمارها .

2- على للعملية التربوية أن تصيغ لها أهدافا واضحة واعدة لأجل التميز، بما ينجب الإنسان الصالح، المتوازن، والمتكامل جسما وروحا، وعلما وعقيدة وعبادة .

3- تحتل المناهج أهمية بالغة في استراتيجية تحقيق التميز التربوي، بموافقة مضامينها عقيدة الأمة وتراثها وأهدافها ومنظومة قيمها وأخلاقها .وقمن بالمناهج أن تواكب الثراء العلمي والمنهجي والتقني المعاش .

4- تأتي أهمية المعلم في المقام الأول لنجاح العملية التعليمية، وبإعداده جيدا يُتَدارك ما قد يعتري المناهج من قصور.

5- إن لنجاعة وتنوع الأساليب أهمية كبرى في إيصال المعارف، وغرس القيم والمهارات، ولذا ينبغي إثراء الوسط التربوي بالأساليب والمقومات التعليمية الناجعة.

وختاما؛ ففي ضوء النتائج توصي الدراسة ببذل مزيد الجهد، وتكاتف الجهود والمسؤوليات لأجل الرقي في بناء الأجيال بما يعرف الناشئة بالله، ويشيد بالأخلاق الفاضلة، ويغرس حب العلم وفضله، وأهمية العمل به في تشييد الأوطان واستقرارها، وتحقيق الغلبة للأمة .

المصادر والمراجع

- بكار، عبد الكريم. (2002). بناء الأجيال، الرياض: مجلة البيان.

- بكار، عبد الكريم. (2011). حول التربية والتعليم. دمشق: دار القلم.

- الحازمي، خالد بن حامد. (2000). أصول التربية الإسلامية، المدينة المنورة: دار عالم الكتب.

- حامد، هناء محمود. التجربة اليابانية في التعليم وسبل الاستفادة منها في مصر، مصر: وزارة المالية (الإدارة المركزية لمركز المعلومات والتوثيق).

- ابن خلدون، عبد الرحمن. (2001). المقدمة، بيروت: دار الفكر.

- ديوي، جون. (1978). المدرسة والمجتمع، بيروت: دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر.

- السهم، سامي. (2014). التصوف العقلي في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الكتاب المصري اللبناني .

- شوق، محمود أحمد. (2001). الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية، القاهرة: دار الفكر العربي .

- الصعيدي، سلمى. (2005). المدرسة الذكية، مصر: دار فرحة للنشر والتوزيع.

- الصمدي، خالد. (2008) القيم الإسلامية في المنظومة التربوية، الرباط: إيسيسكو .

- عمر، عمر أحمد. (2000) فلسفة التربية في القرآن الكريم، دمشق: دار المكتبي .

- الغانم، كلثم. (1995). قيم العمل في كتب القراءة العربية بمراحل التعليم الثلاث بدولة قطر، قطر: مركز الوثائق والدراسات الإنسانية.

- فور، إدجار وآخرون. (1974). تعلم لتكون، الجزائر: اليونسكو .

- الكمالي، عبد الله يحيى. (2002). الطريق إلى التميز التربوي، بيروت: دار ابن حزم.

- الكيلاني، ماجد عرسان. (1988). أهداف التربية الإسلامية، المدينة المنورة: مكتبة التراث .

- الكيلاني، ماجد عرسان. (1985م). تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، بيروت: دار ابن كثير.

- الكيلاني، ماجد عرسان. (1987). فلسفة التربية الإسلامية، بيروت: دار البشائر الإسلامية .

- الكيلاني، ماجد عرسان. (2005). التربية والتجديد وتنمية الفاعلية عند العربي المعاصر، دبي: دار القلم للنشر والتوزيع.

- مدكور، علي أحمد. (2001). مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، القاهرة: دار الفكر العربي.

- ابن مسكويه، أحمد بن محمد. (1899). تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، القاهرة: مطبعة الترقي..

- النجار، زغلول. (2006). نظرات في أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، القاهرة: مكتبة وهبة .

- نصر، ياسر. (2011). كيف تصنع طفلا متميزا، القاهرة: مؤسسة بداية.

- حمد، قتيبة عباس. (2015). جودة التعليم في الفكر الإسلامي. مجلة الجامعة العراقية. عدد (1/24). ص208- 226 .

- مالكي، حنان. (2018). المدرسة والحراك الاجتماعي. دفاتر المخبر. عدد17. جامعة محمد خيضر. بسكرة. الجزائر. ص345- 377 .

- العمرو، صالح سليمان. (1999) . دور المعلم في تنمية الجانب الخلقي لدى المتعلم من خلال دوره كناقل للمعرفة والخبرة والتراث الثقافي، المؤتمر التربوي الثالث لإعداد المعلم. مكة المكرمة. كلية التربية بجامعة أم القرى.

- Betts, (George Herbert).(2017).Social Principles Of Education, Forgotten Books .

- Millot,(Albert).(1938).Les Grand es Tendances de la Pidagogie Contomporaine. Alcan .